تصحيح ما أخطأ العوام فهمه من الألفاظ في القرآن الكريم

د. علي عبد الله سعيد آل غرمان الشهري(*)

(*) أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الملك فيصل – الهفوف – الأحساء – المملكة العربية السعودية.

ملخص البحث:

يتفاوت الناس في فهم مقاصد القرآن الكريم، ومعرفة دلالات ألفاظه، ولكن الكثرة منهم وهم العامة – غالباً –، ومن في حكمهم لا يُجاوزون بما سمعوا من ألفاظه حدود ما عرفوا من المعاني المستعملة عندهم، الدّارجة على لسانهم، دون أن يتحسّب أحدهم لما تحتمله الآية فوق ما عَرَف من الوجوه، وما تقتضيه أوسع مما ظَنّ من الدلالة . وفي هذا إضرار بهم، وتضييق عليهم، وإساءة فهم في حق التنزيل، وقصور به عن غايته من حيث لا يشعرون.

هذا الموضوع يقوم على رصد هذه القضية، وتحديد معالمها من حيث الكيفية، وأنواعها وأمثلتها، وتصحيح الطريقة في معالجتها . ومن خلال الاستقراء والتتبع والسماع وجدت أنها تتمثل في ثلاثة ألوان من الانحراف عن النهج الصحيح في تلقي التنزيل، والتعامل مع النصوص .

علل الوقوع فيها جميعاً لا تخرج عن ثلاث : استعجال الفهم مع الجرأة على التأويل قبل التثبّت والتحرّي. والاحتكام في فهم الألفاظ إلى العرف . وعدم الرجوع إلى أهل العلم في معالجة ما أشكل بالسؤال والتّلقّي .

وبناء على تنوّع الطريقة في الأخذ بالآيات عند هؤلاء فقد قسّمت ما جمعته من الشواهد والأمثلة على ما وقع في فهمه الخطأ، وعدل به الظن عندهم إلى ثلاثة أقسام، ضممت تحت كل قسم منها ما يشاكل بعضه بعضاً، ويُشبهه ويُقاربه، وفي كلٍ ذكرت الوجه الصحيح في تأويله ومعناه، وقد جاءت مرتبة على هذا النحو:

القسم الأول : الألفاظ والمفردات المعدول بها عن معانيها، أو المنقوصة دلالاتها .

القسم الثاني : الجمل التي يُستشهد بها في غير مواطنها، أو المستعملة خلاف مقاصدها.

القسم الثالث : الكلمات التي يقع الخلل في ضبطها، ويؤثر في نطقها ومعناها .

وقد قدّمت لذلك بكلمة بسطت فيها فكرة الموضوع، ومدى أهميته، وطريقة بحثه . ثم أتبعته بجملة من التوصيات والنتائج، عسى أن يكون في العمل بها تحقيق لغاياته . والله الميسّر والمعين .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

ظل كثير من بحوث التفسير دُولة بين المختصين من أهله . إذا كُتبت لا تُوجّه إلا إليهم، فلا يُحسِن فهمها غيرهم، ولا ينتفع بها سواهم، وغفلوا عن أمر العامة الذين تشتد حاجتهم إلى معرفة كثير من الألفاظ والمعاني المتعلقة بالقرآن الكريم، مما يتردد على أسماعهم بالغداة والعشيّ، في الصلوات، وفي تلاوات ومناسبات متفرقة.

لقد نزل القرآن الكريم على النمط العالي من العربية، ووظف ألفاظها توظيفاً يفوق في وضعه قدرة الراسخين في العلم، فضلاً عن العامة، وحمل بوصفه ذاك من المقاصد والمعاني قدراً عظيماً، كان أدناه بين أيديهم، ومنتهى غايته إلى الله سبحانه وتعالى . فكم ينال العامة من ذلك الثراء العظيم ؟

إنهم يتعاملون مع القرآن على قدر أفهامهم، ومبلغ ما يعرفون من معاني ألفاظهم، فإذا سمعوا آيات القرآن تتلى عليهم تقاربوها، وحملوها على ما ألفوه من الكلام، وما استيسروه من التأويل، فلم يجاوزوا حدود ذلك ؛ لأنهم لا يملكون وراءه شيئاً؛ حتى أصبح بعضهم لا يمترى في صواب ما رأى، وكمال ما علم. وفي هذا غمط لمكانة القرآن الكريم، وقصور به عن غايته، وفيه غبن وحرمان لهم، وتضييق عليهم.

وحينما أقول العامة فلا أعني تلك الفئة الأقل عدداً والمُدْبرة زماناً ممن لا يحسنون القراءة والكتابة فحسب، وإنما أعني معها من في حكمها ممن يعانون من الأمية (المقنّعة) – إن صحت العبارة – من المتعلمين الذين أحرزوا الشهادات والدرجات العلا، وصار لهم حظ موفور من العلوم الدنيوية، فكانوا بها في شغل، وعن طلب غيرها مما تدعو الحاجة إليه منصرفين .

فهؤلاء بضاعتهم من علوم الدين لا تكاد تَفْضُل عمّا اشتمل عليه سابقوهم . كلا هاتين الفئتين مستند في تأويل ما يسمع من آي الكتاب إلى العرف، وما طُبع فهمه عليه

من الإلف، ولا يعالج بالسؤال ما استعسر عليه منها إلا قليلاً .

والدور – هنا – منوط بأهل الاختصاص، والرجاء معقود عليهم في أن ينزلوا إلى ساحة هؤلاء؛ ليصغوا إليهم، ويسمعوا منهم، ويعلموهم، وينصحوا لهم، ويبينوا ما أشكل عليهم، ولا يكلوهم إلى كتب التفسير ومطولاته ؛ فإن لها مفاتيح لا يُحكِمها العامة، وطرائق لا يعرفونها، وربما زادتهم مطالعتها لبساً على لبس إن هم رجعوا إليها . والسبيل إلى ذلك يكون باعتماد الكتب الموطّأة، والبحوث الميسّرة، والمحاضرات والدروس، فعن ذلك يحدث السؤال والاستفسار، ويُطلب الجواب ويُسمع، ويُقبل الاستدراك، وتنتشر الحقائق، وتُعرف المسائل، مع اقتناص الأوقات السانحة، والفرص المواتية، التي تناسب تلك الشرائح جميعها.

نقول ذلك وما بأهل العلم من قلّة، فلو وضع كل منهم يده، وأعمل قلمه ولسانه في محيطه الذي يليه لأثمر ذلك أطيب الثمار، ولانتشرت ثقافة التفسير، واشتهرت ألفاظه ومعانيه، وحُبّبت مجالسه إلى الناس، وأتوها طائعين .

ما بال الناس إذا استقبلوا شيئاً من أمور حياتهم واقتضى الانتفاع به تحصيل شيء من قواعده ونظامه رأيتهم ماضين في طلبه سراعاً، لا يهنون ولا يسأمون حتى يحوزوا علمه، وتطمئن نفوسهم به، بل يتواصون في ذلك ويتناصحون، و تُشغل مجالسهم بذكره، ورأيتهم يرخصون له الوقت والجهد والمال . فهل الكتاب عندهم أقل شأناً من ذلك !!

كلا إن بذرة الخير موجودة في نفوس الناس، وقلوبهم مطبوعة على الخير، مجبولة على محبة الدين . هذا هو الظن بالمسلمين، ولكن الإنسان لا يبصر خطأه، ولا يحسّ تقصيره إلا إذا نُبّه إليه . فإذا كان ذلك متعلقاً بالدين فإنه سريع الإنابة سهل الاستجابة.

سلهم عن معنى : ﴿ ٱلصَّمَدُ ﴾ أو ﴿ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ وهي من أكثر ما يسمعون، وأغلب ما يقرؤون ... لتجدنّ أكثرهم في حاجة الجواب الصحيح . فهل يُترك هؤلاء فيما هم فيه والعلم مبذول، والحاجة قائمة .

إن مجال تقصير العوام في حق القرآن لا يقف عند حدود الجهل بالمعاني الصحيحة، وإنما يتجاوز ذلك إلى العدول في تصوّرها، والميل في تقديرها، والاطمئنان إلى ما ذهب إليه كلٌ منهم في فهمه لها دون يقين، مع تخطّي السبل الموصلة إليها التي يقررها أهل العلم، بل والجهل بها، والافتقار إلى الورع والحذر اللَّذين ينبغي أن يتحوّط بهما كل من يتعاطى مثل ذلك .

ومن العسير علينا – هنا –: أن نحصر جوانب التقصير، ومكامن الأخطاء التي يقع فيها الناس، لأنهم قد يفجؤونك منها بما لا تتوقعه، ولكن مداخلتهم أحاديثهم، ومخالطتهم في مجالسهم ومساجدهم، وسائر أنشطة حياتهم تكشف لك عن الكثير من ذلك، وتعطيك صورة بينة مما وصفت لك .

وكخطوة أولى في محاولة التنبيه عليها، والتعريف بها، وإصلاحها وفي ظل عدم وجود دراسات سابقة في هذا الموضوع على حد علمي جمعت قدراً منها لعلّه من أكثرها شهرة، وأظهرها استعمالاً، وأولاها وأقربها إلى الاستدراك والإصلاح . وصنّفتها حسب أنواعها إلى ثلاثة أقسام، ضممت تحت كل قسم منها ما يشاكل بعضه بعضاً، ويشبهه من الكلمات، والجمل التي تسير في نسق واحد من حيث وقوع الخلل، واكتفيت من كل ذلك بالتمثيل دون الاستقصاء فيما ذكرت من الأقسام، وما أوردت تحتها من الأمثال والشواهد ؛ لأن الغاية إيقاظ الحسّ إلى تجنب تلك الأخطاء، ورفع درجة الملاحظة لدى السامع، وتربية ملكة النقد عند الإنسان، والرقابة على نفسه عندما يتعرّض لشيء مما يتعلق بالتنزيل؛ لكي ينزله منزله الصحيح من الصون والرعاية .

هذه الأقسام الثلاثة تشترك في عدم فهم المراد منها، والخطأ في تأويلها، وصرفها عن وجوهها، وتحكيم العرف إلى حدّ مؤثّر في تنزيل دلالاتها، وفقد الأناة المشروطة للتوصل إلى حقائقها .

وقد جاءت مرتَّبة على هذا النحو :

القسم الأول : خاص بالألفاظ والمفردات المعدول بها عن معانيها، أو المنقوصة دلالاتها .

القسم الثاني : مشتمل على الجمل التي يُستشهد بها في غير مواطنها، أو المستعملة خلاف مقاصدها.

القسم الثالث : عن الكلمات التي يقع الخلل في ضبطها، ويؤثر في نطقها ومعناها .

وقد رأيت جمعها تحت عنوان : (تصحيح ما أخطأ العوام فهمه من الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم).

ومن واقع موضوع البحث فلا بد من أن يُراعى في طرحه السهولة، والوضوح والوجازة؛ تنزّلاً مع الرغبة في أن ينتفع به المستهدفون به، وحرصاً على تحقيق الغاية منه. وقد تجنبت ما استطعت الإكثار من التأويلات والتفصيلات التي اعتادها أهل الفن؛ لأنها قد تقصي المطلوب عن هؤلاء، وتحول بينهم وبينه، إلا بما تقتضيه ضرورة البيان. مع التفات إلى من سواهم؛ لكي يصدر كل مطلع عليه بحظه منه إن شاء الله تعالى .

وإني إذ أعرض هذا العمل لا أريد من العاميّ أن يكون ملماً بكل شيء، كما لا أريد أن يكون خالياً من أي شيء، أو جريئاً على كل شيء، وإنما المراد منه أن يحرص على ما لا بد له في الدين منه، وأن يسعى على الأقل لتحصيل الحد الأدنى مما تقوم به حاجته، وتستقيم به حياته من فهم لكتاب الله الكريم، مع توقيره، واستحضار مهابته، فقد أضحى هذا الأمر مما لا يُعذَر أحد بجهله بعد توفر الوسائل، وتنوع السبل، وتيسر المطلوب .

إن الاستسلام للجهل عجز وتقصير ومذمّة، كما أن تقحّم المسالك الوعرة هلاك ومأثمة، والخير في طلب السلامة بين هذين، وما ذلك بمتعذر على من أراد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

القسم الأول : الألفاظ والمفردات المعدول بها عن معانيها، أو المنقوصة دلالاتها

أسلوب القرآن من قبيل المطمع الممتنع، لقربه يغري، ولعمقه يخيف . يعطيك من الألفاظ ما تعرفه، ويحمّلها من المعاني فوق ما تدركه . فإذا سمع الواحد منا من ألفاظه ما اعتاد سماع مثلها من غيره فلا يتعجل تفسيرها، ويستبق معناها بناء على ما عهد عنده من المعاني، وما ألفه من العرف ؛ لأن كلام الله معجز، ومقتضى الإعجاز ألا يكون كلامه سبحانه عادياً يتناوله كل من أراد، ولو كان كذلك لما وقف أرباب الفصحى أمامه مبهورين منقطعين، وعن مجاراته عاجزين .

وإن من مظاهر إعجازه: بلاغة المفردة القرآنية، وفخامة الجملة الأسلوبية . حروف وكلمات معدودة، ومعنى لا يتناهى غزارة وجدة، واتساعاً وعمقاً. فإذا عرف المرء من معناه شيئاً فلا يقطع بأنه نهاية المطلوب وغاية المقصود. على أنه لا تثريب عليه يسمع الآية فيظن فيها الظن، أو يخطر لها عنده معنى، ثم يقلب النظر فيه فكلنا يمر بذلك، ولكن دون أن يجزم أن ما توصل إليه من المفهوم هو المراد إلا في ظل الاستئناس بأقوال أهل العلم، والرجوع إلى كتب التفسير .

ولو تتبعنا أحوال المفسرين لوجدنا أنهم قد أرصدوا له من العدة ما لا يطيقه كثير من الناس ؛ من شدة حرصهم عليه، وعظم وقارهم له، ومعرفتهم به، ثم إذا توصلوا إلى شيء من معانيه رأيناهم وجلين مما قالوا، خائفين مما قرروا، يشفعون ذلك بكثير من عبارات الاحتياط، وأساليب الاعتذار ؛ رفعاً للحرج عن أنفسهم ؛ لعلمهم بكبير ما أقدموا عليه. فإذا كان هذا حالهم فماذا ينبغي أن يكون عليه حال من لم يعتدّ بمثل عدتهم، ولم يبلغ من العلم بعض ما بلغوا ؟ ينبغي أن يكون أشد حذراً وخوفاً، وأبلغ نأياً بنفسه عن ذلك، خاصة وقد كُفى مؤونته، وحُملت عنه تبعته .

قد يكون للكلمة القرآنية معنى ظاهر لا يجهله كثير منا، لكن قواعد النظر في القرآن وتأويله تقتضي ألا نحمله على ما تبادر إلينا ؛ لأن ثراء معناه يأبى أن نحصره في

تلك الجزئية، فالقرآن الكريم يتحدث بلسان العرب جميعاً، وما عرفه قوم في لغتهم قد ينكره آخرون، والعكس كذلك، فإذا وقفناه نحن على ما نعلم فالمعنى أننا نُلغي نصيب الآخرين أو ننفيه . هذا سبب واحد لتعدد وجوه اللفظ فكيف إذا تخطينا في تأويلنا له دلالة السياق التي بيدها زمام المعنى، ولا يفهم إلا في ركابها، أو تجاهلنا فقه المفردة واشتقاقها، أو وجوه القراءة فيها ؟ بل إن مما ينبغي معرفته، والنظر فيه في مثل هذه الحال علم **(الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)**[1] وقد يسميه بعضهم **(الأشباه والنظائر)** وهو من أهم العلوم المتعلقة بالتفسير، ولا أبالغ إذا قلت، إنه متوقف عليه. ومع الأسف فإن هذا العلم على شرفه ونفاسة موضوعه لا يُلقى له كثير من الناس بالاً، أو لا يعلمون عنه أصلاً، وقد يسمعون بغريب القرآن، والناسخ و المنسوخ، والأقسام والأمثال ونحو ذلك، ويعرفون على الأقل الحد الأدنى الذي يستطيعون به معرفة ما يدل عليه كل واحد منها، ولكنهم لم يسمعوا بهذا الفن، وإن سمعوا به لم يهتدوا إلى حقيقة ما يُراد به، ولذلك يصح أن نسميه : علم الخاصة؛ لأنه لا يعرفه إلا

---

(١) اختلفت عبارات العلماء في ضبط المراد بهذا العلم، ومن أسبقهم إلى حَدّه، ولعله أولهم: ابن الجوزي رحمه الله إذ عرّفه بقوله : (واعلم أن معنى الوجوه والنظائر : أن تكون الكلمة واحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر . فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه . فإذاً النظائر : اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني . فهذا الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر) . نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي (ص٨٣) ... على أن هذا التعريف لم يَرُقْ للزركشي رحمه الله إذ تعقّبه بعد أن أورد تعريفه قال : (فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان ؛ كلفظ الأمة . والنظائر كالألفاظ المتواطئة . وقيل : النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني؛ وضُعِّف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة. فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال) . البرهان (١/ ١٠٢). وقد سار السيوطي مع رأي الزركشي ونقل عنه . انظر الإتقان (١/ ٤٤٥) بتحقيق: مصطفى البغا. وقول ابن الجوزي إليّ أعجب . وقد أخذ به حاجي خليفة رحمه الله في تعريفه . انظر كشف الظنون (٢/ ٢٠٠١)... وللتوسع في هذا انظر مقدمة المحقق لكتاب : التصاريف لابن سلام . هند شلبي (ص ١٦) وما بعدها ... وهذا العلم يعرفه أهل اللغة : بالمشترك اللفظي . انظر كتاب: فصول في فقه اللغة العربية . للدكتور : رمضان عبدالتواب (ص ٣٢٤) .

أما مؤلفاته: فمن أشهرها على سبيل المثال : (١) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة (١٥٠هـ) . (٢) التصاريف ليحيى بن سلام المتوفى سنة (٢٠٠هـ) . (٣) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز . لأبي عبدالله الدامغاني المتوفى سنة (٤٧٨هـ) . (٤) كتاب ابن الجوزي المتوفى سنة (٥٩٧هـ) والذي تقدم ذكره آنفاً .

العلماء، ولا ينتفع به غيرهم . هذا العلم يقوم على فقه المفردة في القرآن الكريم، وتعدد استعمالاتها، والوجوه التي تتصرف إليها، وأحوال تكرار لفظها مع اختلاف معناها. فإذا لم يكن هذا العلم على دراية كافية منا مع بُعدٍ عن الاعتبارات السابقة في تناول اللفظ القرآني – ولا شك أكثرنا كذلك – فخليق ألا نخاطر بمنزلة القرآن، ونتجاسر على حرمته فنقول في تأويله بغير علم، وإنما ندع الخوض في مثله لأهله .

في هذا القسم سنعرض بقدر ما تتضح لدينا الصورة لمجموعة من الأمثلة التي تبين لنا طريقة كثير من الناس في تلقّي بعض الكلمات أو الجمل القرآنية، وحمْلها على أبسط وأقرب ما عرفوه من استعمالاتها عندهم، دون التفكير فيما وراء ذلك، مع أن ذلك المعنى الذي فهموه قد يكون مغايراً تماماً للمراد بها في ذلك الموضع، أو يكون واحداً من تأويلات عِدّة للكلمة، ربما كان بعضها أرجح أو أولى بالقول مما ظنوه . سأذكر الآية، وأشير إلى الكلمة محل الشاهد، وما حملت عليه من المعنى الذي لا يوافق المراد بها على الوجه الصحيح، ثم أعقّب بعد ذلك بما أُثر في تأويلها على التحقيق عند أهل العلم، غير مُسْتكثر من الأقاويل، ولا مستوعب لجميع الأوجه، عسى أن تلتقي عنده الرغبات، والله من وراء القصد .

١ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾.

الكلمة : «**السِّلم**» : فُهِمت على أن المراد بها السِّلْم أي : الصلح والمسالمة، وهو المعنى المقابل لكلمة : الحرب .

والصواب : الذي اختاره أهل العلم، ورجحوه أن المراد بالسِّلْم هنا : الإسلام . أي : ادخلوا في الإسلام . قال القرطبي[1] في تأويلها : (كونوا على ملة واحد واجتمعوا على

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي ومفسر جليل، له مصنفات عديدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه منها : التذكرة، وشرح أسماء الله الحسنى . توفي سنة (٦٧١هـ)، الوافي بالوفيات (٢/ ١٢٢) رقم : (٤٧٠)، الديباج المذهب (٢/ ٣٠٨) رقم : (١١٤)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٦٥)، رقم : (٤٣٤).

الإسلام واثبتوا عليه) فالسلم هنا بمعنى : الإسلام ... ومنه قول الشاعر[1]:

دعـوت عشـيرتي للسِّلْم لـمـا رأيتهـمُ تـولـوا مـدبرينـا

قال : أي الإسلام، لما ارتدت كندة بعد وفاة النبي ﷺ مع الأشعث بن قيس الكندي[2]. ولأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالدخول في المسالمة التي هي الصلح وإنما قيل للنبي ﷺ أن يجنح للسلم إذا جنحوا له، وأما أن يبتدى بها فلا)[3] . وهذا ما اختاره أبو جعفر الطبري ورجّحه [4] . وقيل معناه : الاستسلام والطاعة . وقيل غير ذلك مما هو في معنى القول الأول[5] .

٢ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ﴾ سورة الأنعام (٨–٩) .

الكلمة : «**وللبسنا**» و «**ما يلبسون**» . تُفهم على أن المراد من هذا اللفظ اللباس.

---

(١) هو امرؤ القيس بن عباس الكندي، وفد على النبي ﷺ، وأسلم، ولم يرتد مع من ارتد من قومه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، بل قد أبلى في حروب الردة . وهو – هنا – يخاطب من ارتد من قومه كندة في أبيات هذا منها، وتروى لغيره – انظر حاشية المحقق أحمد شاكر على تفسير الطبري (٤/ ٢٥٣) ط المعارف . وانظر المؤتلف والمختلف: ٩ . والبيت في اللسان مادة (سلم) (٣/ ٢٠٨١)

(٢) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي، قدم على رسول الله ﷺ في قومه كنده، وكان رئيسهم فأسلم، ثم ارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فحمل موثوقاً إليه، فأطلقه وزوّجه أخته، وحسن إسلامه وبلاؤه بعد ذلك، شهد اليرموك، وصفين مع علي رضي الله عنه . روى له البخاري ومسلم، وكان في قومه وجيهاً مطاعاً رضي الله عنه (ت سنة ٤٠ هـ) . الاستيعاب (١/ ١٣٣) رقم : (١٣٥)، أسد الغابة (١/ ١١٨) رقم: (١٨٥)، الإصابة (١/ ٨٧) رقم : (٢٠٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ٢٢) .

(٤) في تفسيره جامع البيان (٤/ ٢٥١–٢٥٧). ط المعارف. والطبري : هو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري من أهل آمل بطبرستان. أحد الأئمة الأعلام . كان حافظاً لكتاب الله عارفاً بالقراءات . فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن، وعارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم . من مصنفاته : كتابه : جامع البيان، في التفسير، وكتابه المشهور : تاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار . كانت وفاته رحمه الله ببغداد سنة (٣١٠هـ) . معجم الأدباء (١٨/ ٤٠) رقم : (١٧)، وفيات الأعيان (٤/ ١٩) رقم : (٥٧٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٧) رقم: (١٧٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١٢٠) رقم : (١٢١) .

(٥) انظر الكشاف (١/ ١٢٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٧–٣٤٨) .

بمعنى : أنه لو جعل سبحانه الرسول ملكا لجعل عليه من اللباس مثل ما يلبس هؤلاء المشككون، أو ما يلبس سائر الأنبياء من الثياب .

والصواب : أن معنى الآية : أن المولى سبحانه وتعالى لو استجاب لطلبهم فأنزل ملكاً لقضي الأمر إما بموتهم ؛ لأنهم لا يطيقون رؤيته على هيئته، أو بقيام الساعة، أو بهلاكهم بعذاب يستأصلهم، ولكي لا يحدث لهم ذلك لا بد من جعله رجلاً لكي يأنسوا به ويكلموه، كما كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة البشر، كما أتوا إبراهيم ولوطاً عليهما السلام في صورة الآدميين[1]. وكما كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي الصحابي المعروف رضي الله عنه[2] .

ومع ذلك لو جعله كذلك فسيجحدون كونه ملكاً، ويقولون : إنما أنت بشر فلا نؤمن بك، ولالتبس عليهم الأمر كما يحدث لهم في رسالة الرسول البشري، أو لحدث لكبرائهم ورؤسائهم من اللبس والشك بهذا الصنيع ما يحدثونه هم من التلبيس والخلط والتشكيك لسائر ضَعَفَة الناس .

فالمراد من اللفظ هو : اللبس والشك . وليس المراد اللباس الذي يُستتر ويُتزين به وإن كان أصل اللبس مشتق من التستر بالثوب ونحوه، ولكن ظهر الفرق هنا في الاستعمال.

٣ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ سورة الأعراف (٨٣) .

الكلمة : «**الغابرين**» : تُفهم على أن المراد بها : الماضين . كما يقال : القرون الغابرة أي : الماضية .

---

(١) هم الذين عناهم المولى سبحانه في قوله : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات (٢٤) . وقوله سبحانه : ﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ﴾ هود (٨١) .

(٢) هو : دِحْية بن خليفة بن فروة بن عامر الكلبي، من كبار الصحابة، شهد أحداً وما بعدها، ولم يشهد بدراً. كان يُضرب المثل به في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته . نزل دمشق وعاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه ما . الاستيعاب (٢/ ٤٦١) رقم : (٧٠١)، أسد الغابة (٢/ ١٥٨) رقم : (١٥٠٧)، الإصابة (٢/ ٢٨٤) رقم : (٢٣٩٢) .

والذي يدل عليه معنى الآية ويُفهم من سياقها أن المراد بالغابرين كذلك : الباقين . فيكون المعنى : أي الباقين قبل الهلاك والمعمّرين دهراً طويلاً حتى هرمت وأدركها الهلاك مع من هلك من قوم لوط .

أو يكون المعنى : الباقين في عذاب الله، كما جاء في رواية أخرى .

قاله ابن عباس[١] وقتادة[٢] : وهو من الأضداد[٣] . وقد ذكر ذلك ابن الأنباري[٤] في كتابه[٥] .

وبما أن هذا اللفظ من الأضداد كما ذكروا فلو حُمل على معنى «الماضين» لكان المراد – والله أعلم– : أنها صارت من الماضي بعد هلاكها، أو قد مضى هلاكها مع من هلك . ولكن المعنى الثاني : «الباقين» هو الذي ترجّح في عبارات المفسرين وهو الذي ينصره السياق ويقوّيه .

قال القرطبي : (والأكثر في اللغة أن يكون الغابر الباقي)[٦].

وقال أبو جعفر : (وإنما عنى بذلك : إلا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك، والمعمّرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير، ومرّ بهم زمن كثير، حتى هرمت فيمن هرم من الناس . فكانت ممن غبر الدهرَ الطويلَ قبل هلاك القوم، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين

---

(١) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة، لازم النبي ﷺ وروى عنه . شهد مع علي الجمل وصفين، وكُف بصره في آخر حياته، سكن الطائف ومات بها رضي الله عنه سنة (٦٨ هـ).
الاستيعاب (٣/ ٩٣٣) رقم : (١٥٨٨)، أسد الغابة (٣/ ٢٩٠)، الإصابة (٤/ ١٤١) رقم : (٤٧٨٤) .

(٢) هو : قتادة بن دعامة السدوسي الحافظ أبو الخطاب البصري، الضرير الأكمه المفسر، أحد التابعين أكثر أهل العلم من الثناء على حفظه وعلمه، أخرج له الجماعة (ت سنة ١١٨ هـ) . تذكرة الحفاظ (١/ ١٢٢) رقم : (١٠٧)، البداية والنهاية (٩/ ٣١٣)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٤٣) رقم : (٤١٥) .

(٣) انظر تفسير القرطبي (٧/ ٢٤٦)، والكشاف (٢/ ١١٨) .

(٤) هو : محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، حافظ للشعر والأخبار، له مؤلفات عديدة منها : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، وغريب الحديث وغير ذلك (ت سنة ٣٢٨هـ) . تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢) رقم : (٨٢١)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢٢٦) رقم : (٥٦٢)، شذرات الذهب (٢/ ٣١٥) .

(٥) انظر كتاب الأضداد (ص ١٢٩) رقم : (٧٦) .

(٦) تفسيره (٧/ ٢٤٦) .

جاءهم العذاب .

وقيل معنى ذلك : من الباقين في عذاب الله[1]) .

٤ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة التوبة (١١٢).

الكلمة : «**السائحون**» تُفهم هذه اللفظة على أن المراد بها : السياحة المعروفة في اصطلاحنا اليوم أي بمعنى : السير في الأرض، والسفر للتنزه .

ومع أن لبعض أهل العلم أقوالاً تشبه هذا المعنى نحو قولهم : السائحون : المجاهدون أو قولهم : هم المهاجرون أوهم : الذين يسافرون لطلب الحديث والعلم ... ونحو ذلك[2] .

إلاّ أن المعنى الأقوى الذي قال به جماعة من الصحابة، والذي رجحه أكثر أهل العلم أن المراد : الصائمون . وهذا الأولى ومثله قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ سورة التحريم (٥) .

قيل : سمي الصائم سائحاً لأن السائح لا زاد معه، وإنما يأكل من حيث يجد الطعام، وقيل غير ذلك[3].

٥ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ سورة يونس (٩٢) .

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٥٥٢–٥٥٣) . ط المعارف .

(٢) انظر تفسير القرطبي (٨/ ٢٧٠) .

(٣) انظر تفسير الطبري (١٤/ ٥٠٢–٥٠٦) ط المعارف (٢٨/ ١٦٤) ط الحلبي، وتفسير القرطبي (٨/ ٢٦٩)، وابن كثير (٤/ ٣٩٠)، وانظر المفردات (ص ٢٤٦) .

الكلمة : «**ننجّيك**» تُفهم على أن الله نجاه وأنقذه من الغرق كما هو المعنى في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ سورة مريم (٧٢) .

هذا هو المعنى الذي يتبادر إلى الذهن أولاً .

والصواب : أن المراد : أن نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك – أي غريقاً – ينظر إليك هالكاً من كذب بهلاكك ؛ لتكون لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك . والمراد بالنجوة : الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض[١] ومنه قول الشاعر[٢] :

فمن بعقوتــه كمــن بنجوتــه والمستكنّ كمن يمشي بقرواح

والبيت من قصيدة يصف الشاعر فيها المطر يقول : لشدته غَشيَ كل مكان حتى استوى فيه من بالعقوة. وهي : ساحة الدار وما حولها، والنجوة هي : ما ارتفع من الأرض. واستوى المستكنّ الذي في كنّ واختبأ فيه، والقرواح : البارز الذي لا يستره عن السماء والشمس شيء[٣].

هذا هو المعنى الذي أكّده عامة المفسرين في تأويل الآية غير أنه لا يمتنع أن يراد معنى النجاة، ولكنها نجاة لا حياة فيها أي مجرّدة عن السلامة وليست النجاة الحقيقية كما يظن ويتصور لأول وهلة ... قال القرطبي : (فعلى هذا «ننجّيك ببدنك» احتمل معنيين: أحدهما : نلقيك على نجوة من الأرض .) [٤]. والله أعلم .

٦ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ سورة يوسف (٢٠) .

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/ ١٩٤–١٩٥) .

(٢) البيت لأوس بن حجر التميمي، في ديوانه (ص ١٦) قصيدة رقم (٥) ورواية الديوان : فمن بنجوته كمن بمحفله ...

(٣) انظر حاشية المحقق على تفسير الطبري (١٥/ ١٩٥) ط المعارف .

(٤) تفسيره (٨/ ٣٨٠) .

الكلمة : «**وشروه**» تُفهم على أن معناها : الشراء المقابل لمعنى البيع .

والصواب : أن معناها : أن إخوة يوسف باعوه من السيارة وقبضوا ثمنه : دراهم معدودة .

ولفظ الشراء من الأضداد . أي أنه يستعمل بمعنى البيع وبمعنى الشراء . فهو هنا بمعنى : البيع .

بهذا فسره أهل العلم بالتأويل[١] وهو ما يوافق السياق . جاء في كتاب الأضداد: (واشتريت حرفٌ من الأضداد، يقال : اشتريت الشيء على معنى قبضته وأعطيت ثمنه، وهو المعنى المعروف عند الناس، ويقال : اشتريته إذا بعته[٢]...) وفي المفردات (...لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر . وشريت بمعنى : بعت أكثر . وابتعت بمعنى : اشتريت أكثر[٣] ...) .

٧ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ سورة يوسف (٢٣).

الكلمة : «**إنه ربي**» تفهم على أن يوسف عليه السلام يعني هنا : رب العالمين سبحانه وتعالى .

وهو قولٌ في معناها[٤] . ولكن الأولى و الذي يتفق مع السياق أنه يعني : زوج المرأة. أي : هو سيدي أكرمني، وأحسن منزلتي، وائتمنني فلا أخونه، إشارة إلى قوله: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾[٥] سورة يوسف (٢١).

---

(١) انظر الكشاف (٣ / ٦٨) والمفردات (ص ٢٦٠) .
(٢) (ص٧٢)، رقم (٣٦) .
(٣) (ص ٢٦٠) .
(٤) انظر تفسير الطبري (١٦/ ٣٢) ط المعارف، والكشاف (٣ / ٦٩)، وتفسير القرطبي (٩/ ١٦٥)، وابن كثير (٢/ ٤٧٣) .
(٥) انظر تفسير القرطبي (٩/ ١٦٥) .

٨ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ سورة الإسراء (١٣).

الكلمة : «**طائره**» تحمل على المعنى المتبادر أي : الطائر الحي حقيقة .

والصواب : أن المراد بذلك : عمل الإنسان، وما قضاه الله وقدّره عليه، وما كتب له مما يكون سبباً في السعادة أو الشقاوة ؛ فإن ذلك لازم لا يفارقه أينما كان[١].

أخذاً من عادة العرب من التعبير عن السعد أو النحس بالطائر، قال الطبري : (مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه، نحساً كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاءً يورده سعيراً، أو كان سعداً يورده جنات عدن[٢]).

٩ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ سورة النمل (١٠) .

الكلمة : «**جانّ**» تُفهم على أن المراد : الجانّ من الجن المقابل للإنس، مثل ما جاء في قوله سبحانه : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ سورة الرحمن (١٥) .

والصواب : أن المراد : الحيّة . قيل : الحية الصغيرة، وقيل : ثعبان ذكر عظيم له خِفّة الجانّ - وهو الحية - الصغير واهتزازه، كما جاء في موضع آخر : ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ سورة طه (٢٠) [٣] .

قال ابن كثير : (والجانّ ضرب من الحيات أكثر حركة وأسرع اضطراباً) [٤] .

١٠ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ

---

(١) انظر تفسير الطبري (١٥/ ٥٠- ٥١)، والكشاف (٣/ ١٧٢)، وتفسير القرطبي (١٠/ ٢٢٩) .
(٢) جامع البيان (١٥ / ٥٠) ط الحلبي .
(٣) انظر تفسير القرطبي (١٣ / ١٦٠) وانظر (١١/ ١٩٠)، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥)، وانظر الكشاف (٤/ ٣٠) .
(٤) تفسيره (٣/ ٣٥٧) .

﴿ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: (٦٤) .

الكلمة «**الحيوان**» يُظَن أن هذا المسمى لا يقع إلا على الحيوان المعروف من الدواب المقابل للإنسان. والصواب : أن معنى الحيوان يقع على كل شيء حي، فهو بمعنى: الحياة . وقيل : (الحيوان أبلغ من الحياة لما في بناء (فعلان) من الحركة والاضطراب اللازم للحياة) [١] .

والمراد هنا : أي أن الآخرة هي دار الحياة الباقية التي لا تزول، ولا موت فيها، وأما الحياة الدنيا فهي زائلة منقضية لا دوام لها [٢] .

١١ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الصافات: (١٠٢) .

الكلمة «**السعي**» يُفهم المراد منها على أن السعي هو : السعي بين الصفا والمروة .

أي أن إسماعيل صار قادراً على السعي مع أبيه عليهما السلام بينهما، وسبب هذا الظن أن أغلب حوادث قصتهما جرى في مكة .

والصواب : أن المعنى : أي كبر الغلام وترعرع، وصار يذهب مع أبيه، أو أطاق معونته على عمله، والسعي معه في حوائجه، أو أمور دنياه [٣] .

١٢ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح: (١) .

الكلمة «**فتحاً**» يُفهم على أن المراد بالفتح هنا فتح مكة، وفتح مكة كان يعد فتحاً ولكنه ليس المراد هنا . وإنما المراد هنا هو يوم الحديبية، أو صلح الحديبية في أكثر أقوال

---

(١) الكليات للكفوي (ص٤٠٧) .
(٢) انظر تفسير القرطبي (١٣/ ٣٦٢)، وابن كثير (٣/ ٤٢١)، وانظر المفردات (ص١٣٩) .
(٣) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٧٧)، والكشاف (٥/ ١١٩)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٩٩)، وابن كثير (٤/ ١٤).

أهل العلم [١] . وفي صحيح البخاري [٢] عن البراء [٣] رضي الله عنه قال : (تعدون أنتم الفتح : فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديبية ... الحديث) [٤].

قال ابن حجر [٥] : (... المراد بالفتح هنا : الحديبية؛ لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن ورفع الحرب، وتمكن من يخشى الدخول إلى الإسلام، والوصول إلى المدينة من ذلك، كما وقع لخالد بن الوليد [٦] وعمرو

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٦/ ٦٧- ٧١) ط الحلبي، وتفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٠- ٢٦١)، وابن كثير (٤/ ١٨٢- ١٨٤)، وأسباب النزول للواحدي (ص٤٠٣) .

(٢) هو : أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، صاحب الصحيح المعروف بـ(صحيح البخاري)، وغيره من الكتب . رحل في طلب الحديث، وجمع ما يقارب ستمائة ألف حديث، اختار منها في صحيحه ما وثق بروايته. وهو أول من وضع كتاباً على هذا النحو، ويُعَدُّ كتابه أوثق الكتب الستة المعول عليها عند أهل السنة والجماعة. توفي سنة (٢٥٦هـ) . وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨) رقم : (٥٦٩)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١) رقم : (١٧١)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢١٢) رقم : (٤٥).

(٣) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري أبو عمارة، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردّه ولم يشهدها .
وهو الذي افتتح الري، وشهد مع علي t الجمل وصفين . روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث، وعن جماعة من كبار الصحابة . نزل الكوفة t ومات بها أيام مصعب بن الزبير . الاستيعاب (١/ ١٥٥) رقم : (١٧٣)، أسد الغابة (١/ ٢٠٥) رقم : (٣٨٩)، الإصابة (١/ ٢٧٨) رقم : (٦١٨) .

(٤) رواه البخاري في كتاب : المغازي باب : غزوة الحديبية (٤/ ١٥٢٥) رقم : (٣٩١٩) .... وسميت : «بيعة الرضوان» لقوله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ سورة الفتح (١٨) . انظر تفسير القرطبي (١٦/ ٢٧٤) .

(٥) هو : أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر، نبغ في الأدب والشعر، ثم طلب الحديث، وترحّل وصنف، حتى بلغ الغاية فيه، ومؤلفاته تربو على المائة مثل : فتح الباري شرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، وتهذيب التهذيب، توفي سنة (٨٥٢هـ) بالقاهرة . حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/ ٣٦٧) رقم : (١٠٢)، شذرات الذهب (١/ ٢٧٠)، الأعلام (١/ ١٧٨).

(٦) هو : خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، أسلم بعد الحديبية . شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة فأبلى فيها، وأقره أبو بكر t على الجيوش فقاتل أهل الردّة، وله الأثر المشهور في قتال فارس والروم، توفي t بحمص وقيل : بالمدينة (سنة ٢١هـ) في خلافة عمر رضي الله عنه . الاستيعاب (٢/ ٤٢٧) رقم : (٦٠٣)، أسد الغابة (٢/ ١٠٩) رقم : (١٣٩٩)، الإصابة (٢/ ٢٥١) رقم: (٢٢٠٣) .

ابن العاص[1] وغيرهما، ثم تبعت الأسباب بعضها إلى أن كمل الفتح ...)[2].

١٣ - **الآيـة**: قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ سورة ق (٢٢).

الكلمة «**حديد**» قد يُحمل المعنى على إرادة المعدن المعروف، وهو الحديد بجامع القوة فيه وفي الإبصار حينئذ.

والصواب : أن المراد بقوله : حديد أي : حادّ من الحدّة في الرؤية والإبصار، وقويّ ونافذ، يرى ما كان محجوباً عنه، فالقوة في البصر مقصودة هنا[3]. كما يقال : لسان حديد أي : صارم وماضٍ، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ سورة الأحزاب(١٩)[4].

وإنما جاءت الصيغة فعيل بمعنى : فاعل، أي حديد بمعنى : حاد . كما وصفهم سبحانه في مكان آخر بقوله : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ سورة مريم (٣٨) أي: ما أسمعهم وأبصرهم، أو لا أحد أسمع منهم يوم القيامة ولا أبصر[5]. فهذا من ذلك.

١٤ - **الآية :** قوله تعالى : ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ سورة الرحمن (٦).

الكلمة : «**والنجم**» تُفهم على أن المراد بها : نجم السماء، واحد النجوم، وهو قولٌ في معنى الآية : **ولكن الأولى :** أن معناه : ما نجم من الأرض - أي ما طلع- من النبات مما ينبسط عليها، ولم يكن له ساق مثل البقل ونحوه؛ لعطف الشجر عليه، وهو ما يقابله، وهو ما يقوم على ساق .

---

(١) هو : عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، كان من فرسان قريش في الجاهلية وأبطالهم، مقدماً في الرأي والدهاء، أرسلته قريش إلى الحبشة إثر من هاجر إليها من المسلمين ثم عاد وأسلم قبل الفتح أمّره رسول الله ﷺ على سرية، واستعمله على عُمان، فتح مصر ووليها لعمر بن الخطاب، وكان إلى جانب معاوية في خلافه مع علي رضي الله عنهم أجمعين (ت سنة ٤٣هـ) . الاستيعاب (٣/ ١١٨٤) رقم : (١٩٣١)، أسد الغابة (٤/ ٢٤٤) رقم : (٣٩٦٥)، الإصابة (٤/ ٦٥٠) رقم : (٥٨٨٦) .

(٢) فتح الباري (١٦/ ١٤) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٦/ ١٦٤)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥)، وابن كثير (٤/ ٢٥) .

(٤) انظر المفردات (ص ١١٠) .

(٥) انظر تفسير القرطبي (١١/ ١٠٨)، وابن كثير (٣/ ١٢١-١٢٢) و(٤/ ٢٥) .

فيكون المعنى : ما قام على ساق، وما لا يقوم على ساق يسجدان لله . والمراد : أن الأشياء كلها المختلفة الهيئات تسجد لله[1] .

١٥ – **الآية :** قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ سورة الرحمن (٧).

الكلمة «**الميزان**» فُهم معناه على أنه آلة الوزن المعروفة أي : الميزان ذو الكفتين واللسان الذي يتعامل به المتبايعان .

والأَوْلى أن المراد في هذه الآية : العدل . أي : وضع في الأرض العدل الذي أمر به سبحانه، كما قال جل ذكره : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ....﴾ سورة الحديد (٢٥) .

وما تصرّف من الألفاظ بعد هذا اللفظ فيعني : الفعل والآلة، والسنجة، من الحجارة والحديد ونحوها من مقادير الوزن[2]. وإنما سميت الآلة بهذا الاسم لأنه بها يُعرف العدل بين المتعاملين ومقادير الأشياء المقدرة.

١٦ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾ سورة القلم (٢٠) .

الكلمة «**الصريم**» تُحمل على معنى : المصروم أي : فهي كالزرع المحصود، أو النبت المصروم أي : المجذوذ والمقطوع . وهذا المعنى قد قال به بعض أهل العلم في تفسير الآية .

ولكن الأظهر في معناها أن الصريم يريد به الليل الأسود[3]، قيل : أصبحت محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم، وقيل : كالرماد الأسود قاله ابن عباس وجماعة[4].

١٧ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ سورة القلم (٢٨) .

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٧/ ١١٦–١١٧)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٣–١٥٤)، والكشاف (٦/ ٦١) .
(٢) انظر تفسير الطبري (١٧/ ١١٨)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٤)، واللسان (٦/ ٤٨٢٩) مادة (وزن)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٠)، والمعجم الوسيط (٢/ ١٠٣٠) .
(٣) والصريم : من الأضداد . يقال : لليل صريم، وللنهار صريم ؛ لأن كل واحد منهما يتصرّم من صاحبه. قاله ابن الأنباري (ص٨٤) رقم : (٤٧) وإنما حُملت هنا على معنى الليل بجامع السواد .
(٤) انظر : تفسير الطبري (٢٩/ ٣٠) ط الحلبي، والكشاف (٦/ ١٤٢)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤١–٢٤٢)، وابن كثير (٤/ ٤٠٦).

الكلمة : «**أوسطهم**» يُظن أن معناها : أوسطهم في السنّ، أي : ليس بأكبرهم ولا أصغرهم سناً .

والصواب : أن معنى أوسطهم : أي : أعدلهم، وأمثلهم، وأعقلهم، وأسدّهم رأياً حين طلب منهم التسبيح . قيل : وكان أسرع القوم فزعاً، وأحسنهم رجعة[1] .

١٨ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ سورة الفجر (٩) .

الكلمة : «**جابوا**» تُفسّر بمعنى : جاءوا بالصخر أي : أتوا به، على نحو ما يقوله العوام ويفهمونه في لهجتهم الدارجة فلان جاب الشي – هكذا– أي : أتى به . وليس هذا المراد .

وإنما المراد **وهو الصواب :** أي : قطعوا الصخر بالوادي، من قولهم : فلان يجوب البلاد أي : يقطعها. أو خرقوه ونحتوا الجبال فجعلوها بيوتا[2]، كما قال جل ثناؤه : ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ سورة الحجر (٨٢).

القسم الثاني : الجمل التي يُستشهد بها في غير مواطنها، أو المستعملة في غير مقاصدها

هذا لون آخر من ألوان التعرّض لمعاني القرآن الكريم بغير يقين، لعلّه أضرّ بالمعاني من سابقه، وهو باب يكثر فيه خطأ العوام ؛ لرواجه على الألسنة حتى يوشك بعضه أن يبلغ عندهم مبلغ الأمثال، مبعثه سوء فهم للآية، وجهل بالسياق أدى إلى قلب معناها، أو اجتزائه، أو تحميلها من الدلالة ما لا تحتمل أو نحو ذلك . وغالباً ما يُساق ذلك للاحتجاج لرأي، أو الانتصار لفكرة، أو التسويغ لحال. ولهذه الطريقة صور كثيرة نكتفي للتعريف بها، والتحذير منها، بما يلي من الأمثلة .

١ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٩/ ٧٤–٣٥) ط الحلبي، وتفسير القرطبي (١٨/ ٤٤) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٣٠/ ١٧٨–١٧٩) ط الحلبي، والكشاف (٦/ ٢٣١)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٤٧–٤٨)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٥٠٨) .

بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: (٢٥٦) .

نسمع الاحتجاج بهذه الآية في العادة في موضعين :

موضع الاستشهاد الأول : فُتِن بعض الناس في دينهم، وبلغت بهم رِقّة الدين، وضعف اليقين إلى الاعتقاد أن هذه الآية تتناول في معناها المؤمن المقيم على إيمانه، وأن له من الحرية في ذلك ما يعطيه الحق في أن يبدّل دينه، فلا يُكرِهه أحد على لزومه .

وهذا فهم خاطئ واستشهاد باطل، فإن الآية جاءت في شأن غير المسلمين، وأنهم لا يُكرهون على الدخول في دين الإسلام ؛ لأنه أصبح من الجلاء والكمال، والبيان ووضوح الحجة والبرهان بحيث لا يحتاج معه إلى إكراه على الدخول فيه وقبوله، بل إن من كتب الله له الهداية، وشرح صدره، ونوّر بصيرته دخل فيه على بيّنة طائعاً مختاراً . ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره فإنه لا ينفعه الدخول فيه مكرها مقسوراً[1].

فهذه الآية جاءت في شأن الكافر أصلي الكفر الذي هو باق على كفره، فأمّا المؤمن فلا تتناوله بحال إذْ لا خيار له . كما لا تتناول من كان كفره طارئاً غير أصلي وهو : المرتد .

والحق أنه من استجاز ذلك من المسلمين فَفَعله فحدّه حدّ الردّة إذا توافرت شروطه وهو القتل، كما أجمع على ذلك أهل العلم[2] .

وأياً ما كان السبب فإن هذا هو الحكم المستفاد من الآية . ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ الكهف: (٢٩) . إذ لايفهم منها الترخيص والإذن في أي الأمرين شاء، وإنما المراد: أن الحجة قد اتّضحت، والبيّنة قد قامت فليختر لنفسه من الطريقين ما شاء بعد أن علم مآلهما، وهذا من باب

(١) انظر تفسير ابن كثير (١/ ٣١٠ – ٣١١) .
(٢) انظر المغني لابن قدامة (٨/ ١٢٣) .

التهديد والوعيد الشديد لمن اختار الكفر بعد أن تبيّن له الحقّ، وبقية الآية شاهد على ذلك [1] .

موضوع الاستشهاد الثاني : وكما فُهم المعنى السابق من الآية فهم كذلك منها أنها ناسخة لفريضة الجهاد. وهذا ما لا تعنيه الآية . وحاصل ما قاله أهل العلم في تأويلها جملة من الأقوال نذكر أهمها :

القول الأول : أنها منسوخة بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ....﴾ سورة التحريم (٩) . والرسول ﷺ قاتل العرب ولم يرض منهم غير الإسلام . هذا قول ابن مسعود[2] وجماعة من المفسرين .

القول الثاني : أنها ليست بمنسوخة، وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أرادوا الجزية . والذين يُكرهون هم أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام، وآية التحريم السابقة نزلت فيهم.

وقيل : إنها نزلت في السبْي متى كانوا من أهل الكتاب لم يُجبروا إذا كانوا كباراً، وإن كانوا مجوساً صغاراً أو كباراً أو وثنيين فإنهم يُجبرون على الإسلام ؛ لأن من سباهم لا ينتفع بهم مع كونهم وثنيين ؛ لأنه لا تؤكل ذبائحهم، ولا توطأ نساؤهم، ويدينون بأكل الميتة والنجاسات وغيرها .

وهناك أقوال أخرى : أنها نزلت في أحوال خاصة ببعض الأنصار[3] .

وكما بيّنا سابقاً أن الآية تدل على أنه لكمال هذا الدين، ووضوح آياته وبراهينه

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١٠/٣٩٣)، وابن كثير (٣/ ٨١)، وتفسير ابن سعدي (٣/٩٥٨-٩٥٩) .

(٢) هو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبدالرحمن الهذلي، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها بعدها، ولازم النبي ﷺ، قال رضي الله عنه : لقد رأيتني سادس ستة وما على الأرض مسلم غيرنا . وهو أول من جهر بالقرآن بمكة . بعثه عمر رضي الله عنه إلى الكوفة ليعلمهم أمور دينهم، وأمّره عثمان t عليها ثم عزله . مات سنة اثنتين وثلاثين وله من العمر ستون سنة . انظر : الاستيعاب (٢/٣٠٨) بهامش الإصابة، وأسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٨٤) رقم: (٣١٧٧)، والإصابة وبهامشه الاستيعاب (٢/ ٣٦٠) رقم : (٤٩٥٥)، وسير أعلام النبلاء (١/ ٤٦١) رقم : (٥) .

(٣) انظر تفسير الطبري (٥/٤٠٧-٤١٦) ط المعارف، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٨٠-٢٨١)، وابن كثير (١/ ٣١٠-٣١١)، وانظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٧/ ٢٥-٢٨) .

لايحتاج إلى الإكراه عليه، وإنما الإكراه يقع على ما تنفر منه القلوب . أما سنة الجهاد فهي ماضية إلى قيام الساعة قال ابن سعدي[1] : (ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد، فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين . وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماضٍ مع البرّ والفاجر، وأنه من الفروض المستمرّة، الجهاد القولي والجهاد الفعلي، ومن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد فجزم بأنها منسوخة فقوله ضعيف لفظاً ومعنى، كما هو واضح بيّن لمن تدبّر الآية الكريمة . كما نبهنا عليه.)[2] .

٢ – **الآيـة :** قولـه تـعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾ سورة آل عمران (١٣٠)

موضوع الاستشهاد : يرى بعض من لا خلاق له ولا حظ من العلم والفهم أن الربا المحرّم هو ما كان على هذه الصورة المذكورة في الآية، وأن ما دون ذلك من صور التعاملات ذات النسب المتقاربة واليسيرة لا تدخل في هذا الحكم، ولا يشملها النهي. ولقد تسمع هذا المعنى يتردد من أناس على استحياء منهم يلتمسون به لأنفسهم مندوحة مما أمعنوا فيه من المعاملات التي لم يستطيعوا مقاومة الرغبة أمام ما تزينه لهم من الطرق، وما تعِدُهم به من الأماني، قال أحمد شاكر[3] معلقاً على تفسير هذه الآية : (والمتلاعبون بالدين من أهل عصرنا، وأولياؤهم من عابدي التشريع الوثني الأجنبي – بل التشريع اليهودي في الربا – يلعبون بالقرآن، ويزعمون أن هذه الآية

---

(١) هو : عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي التميمي، فقيه، ومفسر، طالع كتب ابن تيمية وابن القيم وانتفع بها، بلغ مرتبة الاجتهاد ونبذ التقليد، تخرَّج على يديه تلاميذ كثيرون، ومؤلفاته تربو على ثلاثين مؤلفاً في علوم الشريعة توفى في بلدة عنيزة بالقصيم (سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م) الأعلام (٣/ ٣٤٠)، مقدمة المحقق في تفسيره (١/ ٦) .

(٢) تفسيره المسمى : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ١٨٧) .

(٣) هو : أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبدالقادر، يرفع نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، صحب أباه صغيراً إلى السودان، ثم إلى الإسكندرية ، والتحق بالأزهر لينال شهادة العالمية . تولى القضاء، ورأس المحكمة الشرعية العليا، ثم تفرّغ للتأليف والنشر . عالم بالتفسير، متقدماً في علم الحديث، له آثار جليلة، مثل : شرح مسند الإمام أحمد ولم يتمه، والرسالة للشافعي، وغير ذلك، ما بين تأليف وتحقيق. توفى بالقاهرة (سنة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨) . الأعلام (١/ ٢٥٣) .

تدل على أن الربا المحرم هو «الأضعاف المضاعفة» ليجيزوا ما بقى من أنواع الربا على ما ترضاه أهواؤهم وأهواء سادتهم، ويتركوا الآية الصريحة : ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ سورة البقرة (٢٧٩) ... فكانوا في تلاعبهم بتأول هذه الآيات الصريحة أسوأ حالاً ممن – قيل فيهم– ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ سورة آل عمران (٧) . فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)[1] .

والحق الذي لا ريب فيه : أن هذه الآية واحدة من آيات عدة جاءت بتحريم الربا بجميع أشكاله وصوره – ومسمياته التي ابتدعوها– تحريماً صريحاً قاطعاً، قليلاً كان أم كثيراً . وإنما خص هذه الصورة أي : (كونه أضعافاً مضاعفة) لأحد سببين :

إما أن تكون هذه الآية واردة في سياق التدرّج في التشريع، فتكون هذه الآية سابقة لنزول آية سورة البقرة وتمهيداً لها، وتوطئة للتحريم الكلّي ؛ لأن التعامل بالربا كان منتشراً بين الناس حينئذ، فجاءت كمرحلة من مراحل التحريم؛ لتهيئة الناس وتنفيرهم من هذا التعامل القبيح من الربا الفاحش، ثم أتبعها بالتحريم القاطع في سورة البقرة بعد أن بين مساوئ وآثار التعامل بالربا فقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾

(١) عمدة التفسير (١/ ٤١٣) الهامش .

البقرة : (٢٧٥ – ٢٧٩).

وإما أن يكون قد خصّ هذه الصورة من القدْر المضاعف ؛ لأن النفوس كانت مولعة بمثله، وكانت هذه الصفة أكثر شيوعاً ؛ لأن أحوال المدينين العاجزين عن السداد مفضية إليه، فجاءت الآية بياناً للواقع الذي كان يحصل عندهم في الجاهلية، وتنبيها إلى شناعة هذا الفعل ومقته[1] . والله أعلم .

٣ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ سورة النساء (١٢٩) .

موضوع الاستشهاد : يُفهم من هذه الآية عند كثير من الناس على أن عدل الرجل بين نسائه متعذر ولو حرص عليه وحاوله، وذلك في جميع الأمور الزوجية، فإذا خوطب أحدهم بلزوم العدل في زوجاته وقد بدا منه شيء من الميل في نفقة أو مبيت أو نحوه احتج بهذه الآية ؛ ليرفع عن نفسه الحرج ظناً منه أن ما هو عليه داخل في معنى الآية .

والصواب : أن هذه الآية لا تشمل كل ما يجري بين الرجل وزوجاته من التعامل؛ إذ أن مجمل معاملات الزوجين ينقسم إلى قسمين : قسم يستطاع العدل فيه، وقسم لايُستطاع العدل فيه .

فأما ما يدخل في استطاعة الزوج العدل فيه فهو مطالب به شرعاً . وهذا الذي اشترطته آية إباحة التعدد في أول السورة، إذ قيدت الإذن بالتعدد بالقدرة على العدل، والإقساط بين النساء كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ النساء (٣) . . فإذا رأى من نفسه عدم القدرة على أن يسوى بين زوجاته فلا يعدد، وليقتصر على واحدة ؛ لأن ذلك أسلم وأقرب ألا يجور .

وأما ما لا يدخل في استطاعته فإن الله قد رفع عنه الحرج فيه فقال سبحانه : ﴿ وَلَن

---

(١) انظر التحرير والتنوير (٤ / ٨٤–٨٧)، وتفسير ابن كثير (١ / ٣٢٦ – ٣٣١)، وانظر تاريخ الفقه الإسلامي لبدران أبو العينين (ص٤٦–٤٨)، وانظر التفسير الواضح لمحمد حجازي (١ / ١٢٦–١٢٧) .

﴿تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ والمراد بذلك كما قال أهل العلم : الميل القلبي بالمحبة، والحظ من القلب، والحظوة، والمشاعر والأحاسيس، وقيل الجماع كذلك، فإن هذا كله مما لا يطيق الإنسان التصرف فيه[1].

وأنت ترى أنها متعلقة بالقلب فهي من أعماله، والقلوب لا يصرفها إلا رب العالمين[2].

هذا هو المراد بالآية هنا، والشاهد على ذلك أنه أتبعه بقوله سبحانه : ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ كأنه يقول جل ذكره : إذا كنا قد رفعنا عنك الحرج فيما لا تستطيع العدل فيه فلا يؤدي بك ذلك إلى التمادي فتجور فيما تستطيعه فتذر المرأة كالمعلقة أي : لا هي مطلقة فتلتمس نصيبها عند غيره، ولا هي ذات زوج فتنعم بحظها من عشرته، وهذا فيه تحذير وتهديد .

وقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[3]حال رسول الله ﷺ مع نسائه فقالت: (كان رسول الله ﷺ يقسم فيعدل ويقول : «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» يعني القلب) [4] .

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٥ / ٢٠، ٤٠٧)، وابن كثير (١/ ٤٥١، ٥٦٣-٥٦٤) .

(٢) جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص : (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ : «اللهم، مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» رواه مسلم في كتاب : القدر باب : تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء (٤ / ٢٠٤٥) رقم :(٢٦٥٤) . والترمذي من حديث أنس في كتاب : القدر : باب : ما جاء في أن القلوب بين إصبعي الرحمن ... (٤ / ٤٤٨) رقم :(٢١٤٠) . وانظر رقم :(٣٥٢٢)، ورواه ابن ماجة في المقدمة (١/ ٧٢) رقم :(١٩٩)، وفي مسند الإمام أحمد (٢/ ١٦٨-١٧٣) (٦/ ٢٥١، ٣٠٢، ٣١٥) .

(٣) هي : أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما : أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين، تزوجها رسول الله ﷺ قبل الهجرة بسنتين، وقيل : ثلاث، وكانت أكثر نسائه رواية للحديث عنه . توفيت في خلافة معاوية سنة (٥٨هـ). الاستيعاب (٤ / ١٨٨١) رقم :(٤٠٢٩)، أسد الغابة (٧/ ١٨٨) رقم : (٧٠٨٥)، الإصابة (٨/ ١٦) رقم :(١١٤٥٧).

(٤) رواه أبو داود في كتاب : النكاح باب : القسم بين النساء (٢/ ٦٠١) رقم :(٢١٣٤)، والترمذي في كتاب : النكاح، باب : التسوية بين الضرائر (٣ / ٤٣٧) رقم :(١١٤٠)، والنسائي في كتاب : عشرة النساء باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٧/ ٦٠)، وابن ماجه في كتاب : النكاح باب : القسمة بين النساء (١/ ٦٣٣) رقم :(١٩٧١). قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في التلخيص كتاب النكاح (٢/ ١٨٧)، وصححه الألباني في منار السبيل (٧/ ٨٢) رقم :(٢٠١٨).

ومعنى : «فيما أملك» أي : فيما أستطيع، ومعنى : «فلا تلمني» أي لا تؤاخذني . كما ورد عنه ﷺ التحذير من الحيف على النساء، والجور في حقهن بذكر العقوبة الشديدة على ذلك بقوله : «من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل» وفي رواية «ساقط[1]» . فليحذر الذين لا يجتهدون في تحقيق المساواة بين نسائهم ثم يؤولون الآية على هواهم ؛ فإنها في واقع الأمر حجة عليهم، لا لهم .

٤ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ سورة الأعراف (١٠٧ – ١١٠).

موضوع الاستشهاد : في هذه الآيات ونظائرها وصف لمعجزات موسى عليه السلام، وإخبار عن دعوى معارضيه بأنه ساحر، وأن ما جاء به ضرب من السحر، ولما كانت العصا أظهر معجزاته كان أثرها في دعوته أكبر، وأخبارها عندهم أشهر، حتى اقترنت شبهة السحر بها أكثر من غيرها من معجزاته، ولعل هذا الاعتقاد باق عند بعضهم إلى زماننا هذا .

واليوم نسمع ونقرأ في كلامهم ذكر العصا السحرية . يقال حين يعبر الإنسان عن عدم قدرته على تحقيق أمر من الأمور : ليست عندي عصا سحرية، أو فلان لا يملك عصا سحرية لحل مشاكلهم أو نحو هذا . وأكبر الظن أن هذه الجملة أصلها تلك المقالة في معجزة موسى عليه السلام، وأن ما سُخّرت له من الأعمال الخارقة على يد موسى سببه عندهم السحر لا الإعجاز وصدق النبوة، وأن المنكرين توارثوها حتى شاعت واستعملها من لا يفطن إلى أصلها منا وربما منهم كذلك .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب : النكاح باب : القسم بين النساء (٢/ ٦٠٠) رقم : (٢١٣٣)، والترمذي في كتاب: النكاح باب : ما جاء في التسوية بين الضرائر (٣/ ٤٣٨) رقم : (١١٤١)، ورواه النسائي في كتاب : عشرة النساء باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض (٧/ ٦٠)، وابن ماجه في كتاب : النكاح باب : القسمة بين النساء (٣/ ٦٣٣) رقم : (١٩٦٩)، قال الحاكم في المستدرك : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كتاب : النكاح : (٢/ ٨٦). وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٨٠) رقم : (٢٠١٧) .

وفي هذا رد لصريح القرآن الكريم، واتهام لموسى كليم الله، وجحد لنبوته، وإنكار للمعجزة .

ولا ريب أن من جرت على لسانه من إخواننا المسلمين لا يرى هذا الرأي، ولا يقصد إلى ذلك المذهب ولا يعتقده ؛ لأنه في غفلة من هذا، ولو علمه لما ارتضاه، ولا تلفظ به، ولكن لما كان في هذا تعريض بدعوة موسى عليه السلام ومعجزته، وموافقة لقول من كذبوه وردوا دعوته وجب على المسلم أن يصون عن مثل هذا لسانه ، وألا يتعرض لأي من حقائق القرآن الكريم بشيء من التشكيك، أو اللهو، أو الاستهزاء، ويلزم من يعلم تنبيه من لا يعلم إلى خطر ذلك وخطئه .

٥ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة العنكبوت(٤١) .

معنى الآية : قال ابن كثير : (هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسّك ببيت العنكبوت، فإنه لا يجدي عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء[١].

موضوع الاستشهاد : ما يجري على ألسنة بعض الناس، وفي أحاديثهم إذا أرادوا أن يعبّروا عن ضعف شيء قالوا : هذا كلام أوهن من بيت العنكبوت، أو حجتك أوهن من بيت العنكبوت، أو عملك، أو قولك، أو بيتك أو نحو هذا، يريد أن يضرب المثل في الضعف والحقارة بما ينسبه لأحد من الناس .

ووجه الخطأ هنا : أن هذا القول فيه افتيات على النصّ القرآني، إذ يقرر القرآن أن بيت العنكبوت أضعف وأوهن البيوت وهو الحقّ، وهذا يقول : إن هناك ما هو أضعف

(١) تفسيره (٣/ ٤١٣–٤١٤)، وانظر ما قاله الزمخشري في معنى المثل (٤/ ٢٤٨)، وانظر التحرير والتنوير (٢٠–٢٥٢–٢٥٣) .

منه وأوهن، فكأن في هذا تخطئة للآية، واستدراكاً عليها ... نعم ما يوصف بالضعف في بعض الكلام ليس محسوساً كما هو الحال في البيت ونحوه، فيقال : إن هناك فرقاً بين تشبيه البيت ببيت العنكبوت وتشبيه القول أو الحجة به ؛ لأن المشبه هنا معنوي

ولكنا نقول : إن التأدّب مع القرآن يقتضي ألا يجاوز قاعدة المثل التي جاءت الآية بتقريرها فيجريها كما جاءت، سواء أكان المشبه محسوساً أو غيره . وكما جرت العادة في الأمثال تجري بألفاظها دون تغيير أو تعديل، فهي تستعمل في كل حادثة على إطلاقها الأول بألفاظها وأسمائها – وهذا أشهر من أن ينبّه إليه– جاء في البرهان للزركشي[1] قوله : (لا يجوز تعدّى أمثلة القرآن، ولذلك أنكر على الحريري[2] في قوله في مقامته الخامسة عشرة : «فأدخلني بيتاً أحرج من التابوت، وأوهى من بيت العنكبوت» [3] فأي معنى أبلغ من معنىً أكده الله من ستة أوجه حيث قال : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ فأدخل إن، وبنى أفعل التفضيل، وبناه من الوهن، وأضافه إلى الجمع، وعرّف الجمع باللام، وأتى في خبر إنّ باللام وقد قال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ سورة الأنعام (١٥٢). وكان اللائق بالحريري ألا يتجاوز هذه المبالغة وما بعد تمثيل الله تمثيل، وقول الله أقوم قيل، وأوضح سبيل ...) [4] .

(١) هو : بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر، المصري، الزركشي، الشافعي، كان فقيهاً أصولياً ومفسراً وأديباً، أخذ عن ابن كثير وغيره، وله تصانيف كثيرة، منها : البحر المحيط في الأصول، وتفسير القرآن العظيم (ت سنة ٧٩٤هـ) . الدرر الكامنة (٤/ ١٧) رقم : (٣٥٧٨)، حسن المحاضرة (١/ ٤٣٧) رقم : (١٨٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٥٧) رقم : (٥٠٤) .

(٢) هو : القاسم بن علي بن محمد أبو محمد الحريري، المصري، الأديب الكبير، صاحب المقامات المعروفة بـ «مقامات الحريري »، ونسبته إلى عمل الحرير أو بيعه، له مؤلفات أخرى مثل : درة الغواص في أوهام الخواص، وله شعر حسن (ت سنة ٥١٦هـ) . وفيات الأعيان (٤/ ٦٣) رقم : (٥٣٥)، والأعلام (٥/ ١٧٧) .

(٣) انظر مقامات الحريري (ص١٤٧) .

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٤٨٤)، وانظر الإتقان للسيوطي (١/ ٣٥١) .

القسم الثالث : الكلمات التي يقع الخلل في ضبطها، ويؤثر في نطقها ومعناها

حدوث هذا أمر طبيعي عند أكثر العوام بسبب عدم تحرّي الصحة في الضبط المرسوم على الكلمات، وعدم تلقّي القراءة الصحيحة عن القراء المتقنين الذي يعدّ الأصل في تعلّم القرآن الكريم. إذ من المعلوم: أنه لا يؤخذ إلا سماعاً ومشافهة من أفواه القراء، مع طول المدارسة والتلقين، ورياضة اللسان على التلاوة حتى تستقيم عليه الكلمات والجمل، وتستكمل هيئاتها المحمودة في النطق . وهذه الكيفية غير متوافرة لدى هؤلاء، فيقع الخطأ منهم في إخراج الألفاظ وفي ضبطها، وكذلك في أدائها أو تجويدها الذي هو مناط الصحة في التلاوة . على أن التجويد هنا – مع أهميته– ليس موضوعنا لأننا نناقش قضية سابقة له، وهي : إصلاح غلط اللسان، وضمان سلامة الألفاظ عليه، ثم نعالج بعد ذلك إذا أردنا كيفية الأداء .

كيف نصنع بمن تلقّنه قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ سورة الغاشية (٨) فيصرّ على نطقها «وجيه» أو قوله تعالى : ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ ....﴾ سورة الكهف (١٩) . فيأبى إلا أن يلفظها مفتوحة (الراء) أو قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ النحل: (٦). فيقرأها (جِمال) بكسر الجيم . هذا هو الأولى بالاستدراك الآن هو وأمثاله، ثم ننتقل إلى ما بعده ؛ لأن هذا لا نتجوّز فيه لأحد أياً كان تجوّزنا للعاميّ في أحكام التجويد.

وكما ترى فإن السبب في هذه اللحون الظاهرة، المفسدة – غالباً – للفظ والمعنى هو: تناولها باللسان العاميّ المحض، دون تفريق بين ما درج عليه الإنسان في حياته العامة، وانطبع منطقة عليه، وبين ما يتطلّبه التنزيل من استعداد خاص للترتيل والأداء . وهذه جملة أمثلة للكلمات التي يقع فيها خطأ العوام .

١ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢﴾ الحجر: (٢) .

لا تكاد تسمع أحداً ينطق كلمة (رُبَّ) مع (ما) في حديثه إلا مشددة، فإذا سمعت من يخففها فهو من القلة المتيقظين من أهل العلم أو طلابه . وعلى أي حال فليس تشديد الباء لحناً بل هو القراءة الثانية الثابتة في هذه الكلمة، مع قراءة التخفيف . وهما قراءتان صحيحتان عند أهل العلم في آية الحجر هذه، ولم ترد هذه الكلمة في غيرها . فقرأ بتخفيف الباء عامة قراء أهل المدينة، وبعض الكوفيين، وبها قرأ نافع [١] وعاصم[٢]. وقرأ عامة أهل الكوفة والبصرة بتشديدها [٣] .

قال أبو جعفر الطبري : (إنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان، بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب) [٤] .

وجه الاستدلال في هذه الكلمة : أنه من المعروف عند أهل العلم أن القارئ إذا قرأ بقراءة إمامه فعليه أن يُنْفذَها على الحرف الذي قرأ به، فلا يقرأ في قراءة واحدة بوجوه شتى مما اختلف فيه الأئمة – إلا ما يُستثنى في مقام تعليم القراءات – . ونحن نقرأ في المصحف الذي بين أيدينا بقراءة حفص [٥] عن عاصم، والوجه فيها التخفيف أي تخفيف الباء من **(ربما)** فمن شدد الباء فقد أدخل وجهاً في القراءة في هذا الموضع لم يقرأ به صاحب الرواية، فيكون قد خلط في القراءة بين رواية إمامه، وقراءة غيره في آن

---

(١) هو : نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، يكنى أبا رويم، الليثي بالولاء، المدني، أحد القراء السبعة، كان أسود اللون حالكاً، صبيح الوجه، حسن الخلق، فيه دعابة، قرأ على جماعة من التابعين بالمدينة وإليه انتهت رئاسة القراءة فيها، وبها توفي سنة (١٦٩هـ) طبقات القراء لابن الجزري (٢/ ٣٣٠) رقم: (٣٧١٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٧) رقم : (٧٣٢)، وفيات الأعيان (٥/ ٣٦٨) رقم : (٧٥٧)، الأعلام (٨/ ٥).

(٢) هو : أبو بكر عاصم بن أبي النجود، الكوفي الأسدي بالولاء، كان إماماً في القرآن والحديث، لغوياً نحوياً انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة، وهو من تابعي التابعين، وأحد القراء السبعة (ت سنة ١٢٧هـ) . تهذيب التهذيب (٥/ ٣٨) رقم : (٦٧)، غاية النهاية (١/ ٣٤٦) رقم : (١٤٩٦). الوفيات (٣/ ٩) رقم: (٣١٥) .

(٣) انظر تفسير الطبري (١٤/ ١) ط الحلبي، والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/ ٢٩)، والنشر (٢/ ٢٨٩)، والحجة في القراءات السبع لابن خالوية (ص٢٠٤) .

(٤) تفسيره (١٤/ ١) ط الحلبي .

(٥) هو : حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان أبو عمر الدوري الأزدي الضرير، إمام القراء وشيخ الناس في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، أول من جمع القراءات روى عنه جماعة (ت سنة ٢٤٦هـ) . تهذيب التهذيب (٢/ ٤٠٨) رقم : (٧١٤)، طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٢٥٥) رقم : (١١٥٩)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٦٢) رقم : (١٥٩) .

واحد. وهذا لا يرتضيه معا شر القراء، ونحن نعمل بما قرروه في هذا الشأن، فهم أهله وخاصته [1].

والذي يحمل القارئ على هذا في الغالب إلْفه سماعها في الحياة العامة مشدّدة دائما كما قدّمت، فإذا مر بها في المصحف لم يفطن لضبطها، وأخرجها على نحو ما سمع، وبالنطق الذي عليه تعوّد .

٢ – **الآية :** ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الدخان (١٠) .

من لحون العامة تشديد الخاء في كلمة «**دخان**»، ولم يعرف عند العرب فيها إلا وجه واحد، وهو: التخفيف، وإنما التشديد يكون على الدال إذا دخلت عليها (أل) التعريف وما عدا ذلك فلا[2].

ولأنها تستعمل كثيراً في كلامهم مشددة الخاء فإن ذلك كان له أثره عند بعضهم في القراءة، فتراه ينطقها مشددة، وإذا مر ذكر السورة في لفظه شددها، فيقول : سورة الدخّان .

وما هذا بصحيح . وقد جاءت هذه الكلمة في القرآن مرتين : هنا، وفي سورة فصلت في قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ الآية (١١)، وكلاهما بتخفيف الدّال والخاء . ومعنى الدخان: الْعُثان، دخان النار[3]، والمراد به في الآية قيل : إنه من أشراط الساعة، وأنه لم يأت بعد، وقيل : إنه ما أصاب قريشاً من الجوع بدعاء النبي ﷺ حتى كان الرجل يرى بين السماء والأرض دخاناً، ففي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود : (إن قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال : «اللهم أعني عليهم بسبع

---

(١) خلط الروايات ببعضها في القراءة الواحدة يسميه القراء: التلفيق أو التركيب . وهو معيب عندهم ومذموم، بلغ به بعضهم درجة التحريم . انظر حق التلاوة (ص ٣٠ ح)، وانظر لطائف الإشارات (١/ ٣٣٤ وما بعدها) .

(٢) انظر المفردات (ص١٦٦)، واللسان (٢/ ١٣٤٤) مادة (دخن) .

(٣) اللسان (٢/ ١٣٤٤) مادة (دخن)، قال في المعجم الوسيط : (الدخان : ما يتصاعد عن النار من دقائق الوقود غير المحترقة – والتبغ) . (١/ ٢٧٦) .

كسبع يوسف « فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان ... الحديث[1]) .

وقيل إنه يوم فتح مكة يوم حجبت السماء الغبرة[2] . والله أعلم .

٣ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾ سورة الدخان (٢٧) .

المشهور عند العامة في لفظ النعمة أنها تنطق مكسورة (النون) وأما الفتح فإنه غير مستعمل عندهم .

ومن هنا جاء اللحن في هذه الكلمة حين القراءة، كما أن قلة ورودها بهذه الصيغة في القرآن وعدم ترددها على أسماعهم – كغيرها من الصيغ – يشكل سبباً آخر في غرابتها عنهم، وجهلهم بها، إذ لم ترد إلا في موضعين هنا، في آية الدخان، وفي سورة المزمل (١١) بينما تكررت نظيرتها بالكسر في القرآن كثيراً .

ولا شك أن اختلاف الصورة في الضبط واللفظ يؤثر في المعنى، فقد فسرها أهل العلم حين تفتح نونها : بالتنعّم والتّرفّه، والرخاء، وسعة العيش، أو بمعنى : الحال من التمتع بالنعيم . وأما بالكسر فتعنى : الخفض والدعة، والمال، واليد، والصنيعة، والمنّة[3]. فكأن بينهما عموم وخصوص من وجه، وهي بالكسر أشمل . ونقل القرطبي في الفرق بينهما وجهين :

(أحدهما : أنها بكسر النون في الملك، وبفتحها في البدن والدين .

الثاني : أنها بالكسر من المنّة، وهو: الإفضال والعطية . وبالفتح : من التنعيم، وهو سعة العيش والراحة[4].

وفي المفردات : (النِّعمة : الحال الحسنة، وبناء النِّعمة بناء الحالة التي يكون عليها

---

(١) رواه البخاري في كتاب : التفسير باب : تفسير سورة الم غلبت الروم (٤ / ١٧٩٢) رقم : (٤٤٩٦) وفي مواطن أخرى من الصحيح . ورواه مسلم في كتاب : صفات المنافقين وأحكامهم باب : الدخان (٤ / ٢١٥٦) رقم : (٢٧٩٨) .

(٢) تفسير الطبري (٢٥ / ١١١ – ١١٣)، والقرطبي (١٦ / ١٣٠– ١٣٢) .

(٣) انظر اللسان (٦ / ٤٤٧٨ وما بعدها) مادة (نعم)، وانظر تفسير القرطبي (١٦/ ١٣٨) .

(٤) تفسيره (١٦ / ١٣٨) .

الإنسان كالجِلْسة والرِّكْبة، والنَّعمة : التنعّم، وبناؤها بناء المرّة من الفعل، كالضَّرْبة والشِّتمة . والنِّعمة للجنس، تقال للقليل والكثير) [1] .

٤ – **الآية :** قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ سورة النبأ (٩) .

وجه اللحن في هذه الآية : أن كلمة (جعلنا) وكذلك أمثالها تختزل فتحذف اللام وتصير النون مشددة، فتنطق هكذا (وجعنّا)، وقد يكون ذلك بداعي العجلة في القراءة، على نحو ما درج عليه العوامّ في حديثهم ومخاطباتهم . وهذا اللحن مفسد للقراءة ؛ لأنه يخل بالعرف والمعنى، وفيه إسقاط حرف من الحروف الثابتة في القراءة لفظاً وخطّاً .

والصواب : أن تنطق اللام ساكنة من الفعل (جعل) متصلة بـ(نا) ضمير المتكلم جل جلاله ؛ ليكتمل بناء الكلمة، ويفهم معناها، ويحصل الأداء الصحيح للآية .

وهذا لا يحتاج إلى كلفة في معالجة النطق بها أيّاً كان حال القارئ، و إنَّما بشئ من التمهل والتؤدة في القراءة يستقيم له ذلك .

٥ – **الآيات :** قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾ سورة الفجر(١٥ – ١٦) .

قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ سورة الكافرون(٦) .

وجه المخالفة : تقرأ هذه الكلمات التي في أواخر الآيات الثلاث بإشباع الكسر إلى أن تخرج إلى صورة (الياء)، ولها نظائر كثيرة في القرآن يحدث فيها مثل ذلك .

وقد قرأهن جماعة بإثبات (الياء) قالوا : لأنها اسم فلا تحذف، وأثبتها بعضهم في الوصل دون الوقف اتباعاً لخط المصحف في وقفه، واتبع الأصل في وصله فجمع بين الوجهين .

---

(١) (ص ٤٩٩) .

ومنهم من قرأ بالحذف في الوصل والوقف إتباعاً للخط، واكتفى بالكسرة، وقرأ بالياء في الوصل وأجرى الوقف على الوصل فحذف[١].

قال مكي[٢]: (والاختيار حذفها استخفافاً، واتّباعاً للمصحف، ولأن عليه أكثر القراء)[٣].

وعلى ذلك فإن قراءتها بالكسر في الوصل والوقف أصح وأسلم لئلا يخالف في قراءته إمامه، وموافقةً لرسم المصحف الذي يعدّ ذلك ركناً من أركان القراءة الصحيحة المقبولة[٤].

قال القرطبي : (والسنة ألا يخالف خط المصحف لأنه إجماع الصحابة)[٥] .

٦ – **هذه الملاحظة تتعلق بعلامات الوقف أو الضبط في المصحف الشريف.** وذلك أن بعضاً من هذه العلامات تكتب في بعض النسخ بخط كبير يقارب في حجمه حجم حرف الرسم القرآني[٦]، ثم يُفسح لها خلال الآيات فيتوهم القارئ أنها منها، وتنطق معها فيقرؤها، وهذا يحدث .

وأقل ما يسببه ذلك أنه يشوش عليه، ويقطع قراءته . كمن يكتب كلمة (قف) بعد الحروف المقطعة، أو يكتب بعض الكلمات التي تحتمل قراءتها الوجهين في مكان واحد فوق بعضها . مثل كلمة (يبسط) و(يبصط) فيظن إن قراءتها لازمة أو نحو ذلك .

---

(١) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٣٣٣) و (٢/ ٣٧٤) .

(٢) هو : مكي بن أبي طالب بن حموش أبو محمد القيسي الأندلسي القرطبي، كان من أهل التبحّر في علوم القرآن و العربية، مجوداً عالماً بمعاني القراءات مكثراً من التأليف، من مصنفاته : التبصرة في القراءات، والتفسير ومشكل إعراب القرآن (ت سنة ٤٣٧هـ) . طبقات القراء لابن الجزري (٢/ ٣٠٩) رقم: (٣٦٤٥)، الديباج المذهب (٢/ ٣٤٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٣١، ٣٣٧) رقم : (٦٤٣) ورقم: (٦٤٨) .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع (١/ ٣٣٣) ... وقد عقد مكي بن أبي طالب رحمه الله فصلاً بديعاً في الياءات الزوائد والمحذوفة من المصحف في آخر كلامه عن سورة البقرة . فانظره إن شئت .

(٤) انظر لطائف الإشارات (ص٦٧ وما بعدها)، وانظر كتاب : القراءات أحكامها ومصادرها (ص ٩٤ – ٩٥).

(٥) تفسيره (٢٠/ ٥٢) .

(٦) لم تعد هذه النسخ منتشرة انتشار التي بين أيدينا اليوم ولكنها ما تزال موجودة .

الخاتمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

لو لم يكن للمرء زاجر عن الخوض في التفسير إلا ذم التعويل على الظن والهوى في غيره عموماً لكفى لتركه دليلاً، فكيف بمن أعملهما في جانب الشريعة أخذاً وردّاً، دون حجة ظاهرة أو خبر يقين . لاشك طريقته أشدّ مقتاً وذماً . كيف وقد تظاهرت الأدلة على التّنفير من ذلك، وتحذير فاعله وتأثيمه، وإذاً فلا أحق من أن يصون الإنسان عن القول في آي الكتاب لسانه، فلا يتسوّر حمى التنزيل، أو يستدنى جانبه، وإنما يأتيه إذا شاء من الباب الذي شرع، وليس غير أهل العلم، وطول صحبتهم؛ ليسعد بهم، ويقتبس من نورهم نوراً . وهذه جملة من التوصيات والنتائج التي أطمع أن يُستعان بها على تحقيق الغاية من موضوعنا هذا . ولا توفيق إلا من الله .

١ – ما منا من أحد يسمع شيئاً من القرآن إلا ويظن فيما سمع ظناً، ويرى فيه رأياً، وينقدح له في ذهنه معنى . وافق الحق في ذلك أم خالفه، ومدار الحساب على اللسان . فإذا رأى رأياً فلا يجزم، أو ظن ظناً فلا يحقق، أو فهم معنى فلا ينطق إلا عن بصر وعلم، ودين وورع، وتثبت ويقين .

٢ – تربية النفس على المخافة من الله، والمهابة للقرآن، والرقابة على القول؛ عصمة بمشيئة الله من الخوض في القرآن بغير علم ولا هدى ولا برهان .

٣ – الشعور العاطفي الذي يفيضه الوحي على القلب، والسكون الروحي الذي يغشى به النفس قد يحرك الإنسان إلى الإدلال به، والحديث عنه؛ فَيُلقِى ذلك على لسانه ببعض ما يهوى ويحسبه صواباً . ولا يكون هذا إلا عند من غابت عنه قواعد النظر في الكتاب الكريم، وأصول تأويله .

٤ – ما تعجّل العوام فهمه، وأخطؤوا تأويله من آي القرآن؛ سوّغ فعله عندهم ما اعتادوه من الألفاظ، وما ألفوه من المعاني . قاسوا ذاك على هذا، وألبسوه معناه سواء بسواء، وما علموا أن بين أولئك في الاستعمال من الفروق ما قد يبلغ حد المغايرة التامّة .

٥ – الشأن في خطأ العوام: أنه لا ينتظم على قاعدة، ولا يخضع لطريقة ؛ لكي نتتّبعه ونردّه في التصحيح إلى قانون ثابت، وإنما يفجؤونك به، كلمة من هنا، وفكرة من هناك، ومبنى علمنا بذلك على السماع، فتصحيحه يكون مباشراً بحسبه. وهذا ما يجعلنا نلجأ إلى سدّ الذريعة فنقول : لا يتكلم في القرآن إلا من لديه بذلك علم؛ لكي نأمن حدوثه.

٦ – ما جاء عن العوام بشأن الخلل في الضبط والنطق أمر سابق للخلل في الأداء (علم التجويد) . والأول أفحش في اللحن، وأولى بالحق في التصحيح ؛ لأنه متعلق بالوضع، وأما الثاني: فهو متعلق بالكيفية، وفي هذا مما يُعفَى عنه للعوام ما ليس في الأول.

٧ – تنبيه العامي على ما أخطأ فيه من آي الكتاب حق له على من سمعه إذا كان من أهل العلم بذلك، وإصلاح ما أفسده فرض على السامعين من باب الكفاية.

٨ – يمكن أن يُتوقّى خطأ العوام شيئاً فشيئاً عن طريق التوعية والتصحيح بالدروس، والمحاضرات والكتيّبات، ونشر ثقافة التفسير الميسّر، مع بيان حرمة وخطر القول فيه بغير علم.

اللهم ارزقنا فهم كتابك، وحسن العمل بما فيه، وزدنا له مهابة ووقاراً، واحفظ اللهم ألسنتنا أن تورد كلامك مورداً لا يرضيك.

وصلى الله وسلم على سيدنا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن . لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١) هـ.

٢ – تقديم وتعليق : مصطفى ديب البغا . الطبعة الأولى : – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م . دار ابن كثير . دمشق . بيروت .

٣ – إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل . تأليف : محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الأولى :– ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . بيروت – دمشق .

٤ – أسباب النزول . لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٨٧هـ). تحقيق : السيد أحمد صقر . دار القبلة للثقافة الإسلامية – المملكة العربية السعودية . الطبعة الثانية :– ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٥ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب . للحافظ أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ). تحقيق : علي محمد البجاوي . ملتزم الطبع والنشر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – الفجالة – مصر .

* الاستيعاب في أسماء الأصحاب . لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي (ت٤٦٣هـ). بهامش الإصابة في تمييز الصحابة . الناشر دار الكتاب العربي، بيروت .

٥ – أسد الغابة في معرفة الصحابة . لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ). تحقيق وتعليق : محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور، محمود عبد الوهاب فايد. دار الشعب – مصر.

٦ – الإصابة في تمييز الصحابة . تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه : علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر للطبع والنشر . الفجالة – القاهرة.

* الإصابة في تمييز الصحابة . لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن

محمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الشافعي المعروف «بابن حجر» (ت٨٥٢هـ). وعلى هامشه : الاستيعاب لابن عبد البر . الناشر دار الكتاب العربي . بيروت .

٧ – الأضداد . لأبي مكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط :– ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م . المكتبة العصرية – بيروت .

٨ – الأعلام . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . تأليف : خير الدين الزر كلى (ت١٣٩٦هـ) . الطبعة الخامسة :– ١٩٨٠. دار العلم للملايين . بيروت .

٩ – البداية والنهاية . لأبي الفدا الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ). الناشر : مكتبة المعارف . بيروت . الطبعة الرابعة :– ١٩٨٢م .

١٠ – تاريخ الفقه الإسلامي ونظرية الملكية والعقود . تأليف : بدران أبو العينين بدران. دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت .

١١ – التحرير والتنوير . للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . الدار التونسية للنشر :– ١٩٧١م .

١٢ – تذكرة الحفاظ . للإمام أبي عبدالله شمس الدين محمد الذهبي (ت٧٤٨هـ) . دار إحياء التراث العربي. بيروت . توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز. مكة المكرمة .

١٣ – تفسير القرآن العظيم . للحافظ عماد الدين أبي الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ). المكتبة التجارية الكبرى . بمصر.

١٤ – التفسير الواضح . للدكتور : محمد محمود حجازي . الطبعة الأولى :– ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م . دار الكتاب العربي – بيروت .

١٥ – تهذيب التهذيب . لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) . مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر أباد الدكن . الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ .

١٦ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . للشيخ : عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ). اعتنى به : سعد بن فواز الصميل . الطبعة الأولى :– ١٤٢٢هـ . دار ابن الجوزي . المملكة العربية السعودية .

١٧ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) . الطبعة الثالثة : – ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

* جامع البيان عن تأويل آي القرآن . تأليف : أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، حققه وعلق حواشيه : محمود محمد شاكر . راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر. الطبعة الثانية .

١٨ – الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) .صححه : أحمد عبد العليم البردوني، أبو إسحاق إبراهيم أطفيش. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . الطبعة الثالثة : – ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م .

١٩ – الحجة في القراءات السبع . تأليف : الحسين بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ) . تحقيق وشرح : الدكتور : عبد العال سالم مكرم . الطبعة : الخامسة – ١٤١٠هـ ١٩٩٠م . مؤسسة الرسالة .

٢٠ – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . للحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الأولى عام ١٩٦٧ م ١٣٨٧ هـ . دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .

٢١ – حقّ التلاوة . تأليف : حسني شيخ عثمان . الطبعة التاسعة :– ١٤١٠هـ ١٩٩٠م. مكتبة المنار – الأردن – الزرقاء

٢٢ – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . تأليف : شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) . حققه وقدم له ووضع فهارسه : محمد سيد جاد الحق . مطبعة المدني. مصر . دار الكتب الحديثة .

٢٣ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . لبرهان الدين إبراهيم بن علي الشهير «بابن فرحون المالكي» (ت٧٩٩هـ) . تحقيق وتعليق : د. محمد الأحمدي أبو النور . مطبعة المدينة . دار التراث للطبع والنشر . القاهرة .

٢٤ – ديوان أوس بن حجر . تحقيق وشرح : الدكتور : محمد يوسف نجم . الطبعة الثالثة :– ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م . دار صادر – بيروت .

٢٥ – سنن ابن ماجة. للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (ت٢٧٥هـ). حقق نصوصه ورقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه، وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٦ – سنن أبي داود . للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ) . ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (ت٣٨٨هـ) وهو شرح عليه مع تخريج أحاديثه وترقيمها . إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد . دار الحديث . طباعة . نشر . توزيع . حمص . سورية. الطبعة الأولى: – ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .

٢٧ – سنن الترمذي وهي (الجامع الصحيح) . لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٩٧هـ) . تحقيق : أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثانية : – ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .

٢٨ – سنن النسائي (المجتبى) . تأليف : الحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ) . ومعه زهر الربي على المجتبى للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) . مع تعليقات مقتبسة من حاشية السندي . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الأولى : – ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

٢٩ – سير أعلام النبلاء . للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) . حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : شعيب الأرناؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى : – ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .

٣٠ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب . لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ) . منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت .

٣١ – صحيح البخاري . للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ). ضبطه ورقمه، وذكر تكرار مواضعه، وشرح ألفاظه وجمله، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهارسه الدكتور : مصطفى ديب البغا . الطبعة الأولى :– ١٤٠١هـ ١٩٨١م . نشر وتوزيع : دار القلم . دمشق . بيروت . دار الإمام البخاري . دمشق . حلبوني .

٣٢ – صحيح مسلم . للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) . وقف على طبعه، وتحقيق نصوصه، وتصحيحه وترقيمه وعد كتبه وأبوابه وأحاديثه، وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة : محمد فؤاد عبدالباقي . دار إحياء التراث العربي. بيروت .

٣٣ – طبقات الشافعية الكبرى . لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١هـ) . تحقيق : عبدالفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي. الطبعة الأولى :– ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . مصر .

٣٤ – طبقات المفسرين . للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت٩٤٥هـ) . تحقيق: علي محمد عمر ... بمركز تحقيق التراث بدار الكتب. مطبعة الاستقلال الكبرى . الطبعة الأولى : – ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م . الناشر : مكتبة وهبة. القاهرة .

٣٥ – عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم . للشيخ : أحمد محمد شاكر (ت١٣٧٧هـ ١٩٥٨م) . الطبعة الثانية :– ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م. دار الوفاء – المنصورة .

٣٦ – غاية النهاية في طبقات القراء . تأليف : شمس الدين أبي الخير محمد بن

الجزري (ت٨٣٣هـ) . عني بنشره : ج . برجستراسر . الطبعة الثالثة: – ١٤٠٢هـ١٩٨٢م. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

٣٧ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري . لشيخ الإسلام أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت٨٥٢هـ) . راجعه وقدم له، وضبط أحاديثه وعلق عليه الأساتذة : طه عبدالرؤوف سعد، مصطفى محمد الهواري، السيد محمد عبدالمعطي . طبعة جديدة : – ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م . شركة الطباعة الفنية المتحدة . مكتبة الكليات الأزهرية . الأزهر. مصر .

٣٨ – القراءات أحكامها ومصادرها . للدكتور : شعبان محمد إسماعيل . الطبعة الثانية :– ١٤١٤هـ. سلسلة دعوة الحق الشهرية .

٣٩ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ). تحقيق وتعليق: محمد مرسي عامر . مراجعة الطبع : الدكتور : شعبان محمد إسماعيل. الطبعة الثانية : – ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م . الناشر : دار المصحف : شركة مكتبة ومطبعة عبدالرحمن محمد. الصنادقية بالأزهر . القاهرة.

٤٠ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . تأليف : مصطفى بن عبدالله القسطنطني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي المعروف «بحاجي خليفة» (ت١٠٦٧هـ) . دار الفكر : – ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤١ – الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) . تحقيق : الدكتور : محيي الدين رمضان . الطبعة الثانية :– ١٤٠١هـ ١٩٨١م. مؤسسة الرسالة . بيروت .

٤٢ – الكلّيات . معجم المصطلحات والفروق اللغوية . لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ ١٦٨٣م) . قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع، ووضع فهارسه : الدكتور : عدنان درويش . محمد المصري . الطبعة الثانية :– ١٤١٩هـ ١٩٩٨م . مؤسسة الرسالة . بيروت .

٤٣ – لسان العرب . لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ). تحقيق : عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي . الناشر : دار المعارف . القاهرة . طبعة جديدة .

٤٤ – لطائف الإشارات لفنون القراءات . تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) . تحقيق وتعليق : الشيخ : عامر السيد عثمان، الدكتور: عبد الصبور شاهين : – ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م. القاهرة . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

٤٥ – المستدرك على الصحيحين . للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري (ت٤٠٥هـ) . وبذيله التلخيص للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد التركماني الذهبي (ت٧٤٨هـ). الناشر : دار الكتاب العربي. بيروت . لبنان .

٤٦ – مسند الإمام أحمد . للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ). وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلي بن حسام الدين الشهير «بالمتقى» . الطبعة الثانية : – ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر . بيروت .

٤٧ – معجم الأدباء المعروف بـ «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب». لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ) . الطبعة الأخيرة . دار المأمون .

٤٨ – المعجم الوسيط . لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . قام بإخراج الطبعة : د. إبراهيم أنيس وآخرون. الطبعة الثانية :– ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م مطابع دار المعارف بمصر.

٤٩ – المغني . لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي . من مطبوعات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد . المملكة العربية

السعودية . مكتبة الرياض الحديثة . الرياض: – ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

٥٠ – المفردات في غريب القرآن. لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ). تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني . شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأخيرة :– ١٣٨١هـ ١٩٦١م.

٥١ – مقامات الحريري . تأليف : القاسم بن علي بن محمد الحريري (ت٥١٦هـ) . طُبع ثالثةً في بيروت في المطبعة الأدبية سنة :– ١٩٠٣م .

٥٢ – نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر . لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) . دراسة وتحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي . الطبعة الثالثة :– ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م . مؤسسة الرسالة – بيروت .

٥٣ – النشر في القراءات العشر . تأليف : الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير «بابن الجزري» (ت٨٣٣هـ) . أشرف على تصحيحه، ومراجعته للمرة الأخيرة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل: علي محمد الضبّاع . دار الكتاب العربي – لبنان .

٥٤ – الوافي بالوفيات . لصلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ) . باعتناء: محمد يوسف نجم . دار النشر: فرانز شتايز بفيسبادن . الطبعة الثانية : – ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٥٥ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) . تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر . بيروت.